البئر ثم ينقطع به الحبل، فكيف يكون حالة يا ترى ؟ السقوط في البئر لا محالة.

اخيه ما مر ريقي * * * واحيه ما حر دايا

اللى حسبته حبيبي * * * طلع لي عدو من حذايا

نعم انه داء حار وطعم مر، ذلك أنك تحسب فلانا هذا صديقا غاليا عزيزا، ثم يتبين لك أنه عدو ماكر فهي خيانة حقا والعياذ بالله، وفي نفس السياق يقول :

ما حر سية حبيبك * * * اللي ما تبيهاش منه

تسمّر مياميك فى الليل * * * وتقطع عروق المحنه

صعبة وحارة السيئة التي تأتي من الصديق، تسهر عيونك طوال الليل، وتجرح وتقطع عروق المحبة والحنان .

سابعا : الدهر :

يمر الإنسان فى الحياة الدنيا بجملة من المواقف والتفاعلات، يتعامل مع الغير من بني جنسه، يأخذ حق ويقدم واجب، وتتوالد ايجابيات وسلبيات نتيجة هذه التعاملات، يسعى في الأرض ويمشي في مناكبها ويعمرها، ويأكل من رزق الله، يغمره الأمل والطموح أحيانا، ويجثم

عليه اليأس والقنوط أحيانا أخرى، يفرح ويحزن يستقبل المولود ويودع الوالد، هكذا هي الحياة، وهذه هي طبيعتها، التأمل فيها مطلوب، والاستفادة من تجارب السلف جد مهم ، والاستعداد ليوم الرحيل والعمل لما بعد الموت هو مطلوب، هذا ما تؤكده النصوص التالية :

الدهر ميمولة قهر * * * هدمه غلب كل باني

ويسبد من الحي للقبر * * * وكل ما ترى العين فاني

فالدهر نهايته قهر الموت (سبحان الله قاهر العباد بالموت) ثم بين أن الهدم في الدهر أكثر من البناء، وهذا دلالة على نهاية الأيام التي يعيشها الإنسان في الدنيا مهما طال، فلابد من الموت وانتقال الحي إلى القبر، وإن كل من نراه في هذه الدنيا هو فانٍ ومنتهٍ ولله في خلقه شؤون .

يسبد[53] من الموت يا حي * * * بأمراض ولا جراحي

ما يعقبن غير لصيات * * * عفنات ولا ملاحي

لابد من الموت سواء بمرض أو جراح، ولا يبقى للإنسان بعد موته الا أعماله خيرا كانت أم شراً، اللهم اهدنا للخير وأعنا عليه .

---

1 - بمعنى لابد

الدهر كيف أول الشهر * * * قمره وظلمة عقابه

ومهبول من يامن الدهر * * * بعد الانبياء والصحابة

يشبه القائل الدهر بالشهر القمري، حيث يكون القمر في بدايته ساطعا ومضيئا ثم يختفي القمر بعد ذلك، ثم يبين كيف تأمن الدهر وقد رحل قبلك الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم .

الدهر يا مختبل فيه * * * ياقل منا نجاتك

كانهن خطنيك بداريه * * * تواليه متقفياتك

على الإنسان المؤمن ألا يغتر بالدنيا ومظاهرها، فهي سريعة التقلب، فقد ينجو منها في البداية ولكنها ستلحق به مهما طال عمره وازدهر .

والله ما يهشم العمر * * * ويشيبك دون جيلك

كان غير ضنوى[54] على قل * * * وإلا اسوال من لا يقيلك

يقسم الشاعر بأن الامور التي تحطم عمر الإنسان وتسبب له حيرة وتفكير، ويلحق به الشيب به في رأسه قبل بقية أقرانه من بني جيله، إلا عندما يرزق بأولاد وبنات ولم يستطع الانفاق عليهم بسبب العوز

54- البنين والبنات

وكذلك عندما يقترض من الغير ثم يأتي الدائن يطلب دينه دون رحمة أو عطف، وهذا ينطبق مع نص آخر يقول :

تلاقن عليا الثنتين * * * ديني وصاحب سوالى

وشمتت فيا المحاسيد * * * أول زماني وتالى

فليس هناك أصعب من الدين، وعدم القدرة على سداده، فالدين هم بالليل ومذلة بالنهار، وليس هناك اعز من الشرف والعرض، ويؤكد ذلك القول :

ما يرقد الليل مديون * * * ولا يحمل الذل مانع

ولا يغسل العرض صابون * * * ولا ينجر العظم صانع

راحة البال والقناعة بالقليل، من الامور التي يتناولها الفلاح وهو يقوم بحرفة الجبادة فيقول :

هني بال مانى غني مال * * * مرتاح والغير شاقي

راقدلها تحت لظلال * * * وعابي لها عالفراقي

يقولون (فاقد الشي لا يعطيه) فهل يستطيع الإنسان أن يعلم غيره علما لم يكن قد تعلمه، ومن لم يتعرض لألم وللمرض، لا يعرف قيمة المعاناة، ومن لم يتعرض لمحن الدنيا ومواقفها الصعبة لا يمكن أن يأتيك بحكمة أو موعظة أو نصيحة، وهذا ما يؤكده هذا القول:

اللي ما قري ما يقرّي * * * واللي ما مرض ما يعاني

واللي ما غدت كبدته دم * * * لا تنشده عالمعاني

دروب الصحراء ومساربها، وأوديتها ومصادر مياهها لا يمكن أن يعرفها إلا الشخص الذي سافر وتجول فيها وعرف خفاياها، كما أن الإلمام بأحكام الدين من فرائض وسنن ومستحبات ومعرفة الحلال من الحرام لا يمكن أن يعرفه إلا من تعلم، وتبحر في بحور العلم والمعرفة، وماعدا ذلك وحتى لو كان الشخص ملتزما دينيا فإنه يظل جاهلا أمام الكثير من المعارف، والأحكام، لذلك يقول الشاعر في هذا المعنى :

اللى ما سفر ما خبر أرض * * * ولا يوردك عالمنأهل

واللى ما قري ما عرف فرض * * * حتى ان تاب ما زال جأهل

صلة الأرحام والتواصل مع ذوي القربى من الأمور التي يؤكد عليها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ويؤكد عليها العرف الاجتماعي ويحرص على تقويتها وتماسكها، ويحذر من عوامل ضعفها وتفككها . ولعل من الاشياء التي يحذر منها في هذا الجانب القطيعة وكثرة الخلافات بين الاقارب، واذا كان بعض الناس يسلكون هذا المسلك من أقاربهم فهل يأمنهم بقية الناس من هذا التصرف الشائن؟ ثم يبين النص التالي ويشبه هذا الخلق الشائن بأن من يسيء إلى قريبه كمن يقطع مفصل يده، ومن ثم سيكون قاصراً عن تحقيق الكثير من الأعمال التي يحتاجها كل ساعة وكل يوم . وهذا ما نجده في هذا القول :

اللي قطع فى قريبه * * * ما يامنوه البعادي

واللى قطع مفصل ايده * * * ماهو على الوصل عابي

كثرة الملامة على الغير أمر غير مرغوب فيه، وتسبب الجفاء بين الناس، وتقلل قيمة الإنسان الكثير اللوم وينفره حتى الأقارب والأصدقاء، هذا ما نجده في البيت الاول من النص التالي، ويأتي البيت التالي ليؤكد أن من يدخل البحر ليعوم بدون معرفة الغطس والسباحة فإن نجاته من الغرق تكون قليلة، وفى هذا التحذير واضح البيان. يقول النص:

ياشوم من كثر اللوم * * * يرخص اليا كان غالي

خشاش بحرا بلا عوم * * * قليل النجا عند بالي

على الإنسان أن يغتنم الوقت، وأن يستفيد من عمره، وهو من الأمور التي سيسأل عنها العبد يوم البعث (عن عمره فيما أفناه) وكذلك عليه ان يدرك ان الماضي من الوقت وما حدث فيه من قصور أو تقصير، لا يمكن تعويضه، وهذا ما يؤكده هذا القول :

مالك من الدهر كله * * * الا ساعتك وانت فيها

واللي مشت ما تولي * * * مهبول يا مرتجيها

الاغترار بالمظاهر من الامور التي ينبغي الاحتراس منها، قد يعجبك ظاهر الأشياء ولكن بواطنها على العكس من ذلك، وهذا ما نجده في هذا النص :

ياما من الزين خاوي * * * سقط فيه عرق المراره

ما يعجبك غصن راوي * * * قبل لا تمقل ثماره

وكلمة (تمقل ثماره) تعني تتفحص وتتبين الشيء، فالحكم ينبغي ان يكون بعد الاطلاع والتمحيص. وفي الأيام وتقلباتها يقول المثل الشعبي (المتغطي بالأيام عريان) والإنسان يعيش أياما معدودة لا

يعلم نهايتها الا الله، ولكننا نسير في غفلة من هذا، والشواهد أمامنا كثيرة كل ساعة فكم من قريب أو جار، أو صديق فارق الدنيا تاركا وراءه كل حطامها، لذلك يقول النص الآتي في هذا المقام:

ياما من اللي حزر حزر * * * وجي حزر ليام دونه

وياما من اللي بني قصر * * * رحل قبل ياجد سكونه

وفي نص آخر وعلى نفس السياق يقول :

ليام كيف الهجنة * * * لا كان جنك ايهاين

لا تندري جيّهن فرح * * * والا حزانا يكافن

على الإنسان أن يسعي لآخرته منذ شبابه، وأن يعمل ويبذل الجهد من أجل اكتساب الحلال في فترات عمره الاولى، فهذه فترات العطاء والبذل، حيث إنه كلما تقدم به العمر يصبح عاجزا عن تحقيق ذلك، وهذا ما نلمسه في النص التالي :

اللى ما سعي فى الثلاثين * * * سوى مال ولا عباده

ليا وصل العمر ستين * * * يصعب ويبدى مكاده

ويقول أيضًا:

يالادرة وين ليام * * * اللي تعدن وفاتن

ياريتهن كيف لعياد * * * من العام للعام ياتن

تحسر على مرور الأيام، وتمنى بعودتها من جديد كما تعود الأعياد كل عام، وهذا لا يمكن تحقيقه واقعيا بطبيعة الحال:

الداء اليا طال قتال * * * والعمر اليا طال فاني

والشيش اليا طاح كسار * * * قليل عرف من فيه باني

يقول في هذا النص، إن المرض عندما يطول فإنه يؤدي بالإنسان إلى الهلاك، وإن العمر مهما طال فسينتهي حتما بالموت، وهي أشياء لابد منها، ثم يربط البيت الأول بالثاني، فيقول إن الزجاج عندما يسقط على الأرض ويتكسر فإن الإنسان الذي يحاول إصلاحه هو قليل المعرفة والإدراك .

الجزاء من جنس العمل وكما تعمل يُعمل لك، فاعمل خيرا تجد خير، وفى النص التالي تعبير عن ذلك حيث يقول :

ياحافرا لا تغرق * * * لا تحفر الا قياسك

راهوا ترابا تحول * * * اتجي سفيته فوق راسك

الإنسان الصادق هو الذي يتعامل مع الناس في حالة الرخاء والشدة، ويتحمل غلطاتك كما يفرح بصوابك، وفى هذا المقام يقول الشاعر :

اللي ما يقلك بعوجاك * * * ماله ثني فى سقامك

واللى ما عرف شور معناك * * * عليه لا تخسر كلامك

ثامنا ـ حكم ووصايا:

من يبحث في مضمون (أغاني الجبادة) وعموم أنواع أغاني العمل بتمعن وتحليل، يجد انها احتوت على حكم ونصائح ووصايا غاية في الأهمية، وهي ناتجة عن مخاض تجربة إنسانية عميقة في الحياة الدنيا، كما أنها احتوت ألواناً عديدة من ممارسات الحياة وصيغت في قالب جميل، فكل كلمة أو جملة في هذه النصوص تحمل قيماً وأخلاقاً ومبادئ، وتحكي معاناة وكفاحا وصبرا وتأملا، وتمييزا بين الأشياء، وتشبيها بما هو موجود حول الإنسان وبيئته، إن هذه النصوص هي دروس ذات قيمة نأمل من القارئ الكريم أن يتأملها، وأن يرسخها في اذهان النشء، وأن يقدمها لهم بطريقة سلسة ومستساغة، وأمام كثرة هذه النصوص فإننا نقدم منها ما يمكن تقديمه، آملين الفائدة منها بإذن الله: